الكُلّيات الفونولوجيّة في الدّرس الصّوتي العربي

Phonological Colleges In The Arabic Phonemic Lesson

حمزة درامسي*

dramssihamza123@gmail.com

جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)

مقدم محمد

Mokeddem.med1976@gmail.com

جامعة أحمد زبانة غليزان (الجزائر)

تاريخ الارسال:2020/10/04 تاريخ القبول: 2021/01/29 تاريخ النشر:2021/03/01

ملخص:

هدفنا من هذه الدراسة الوقوف على الكليات الفونولوجية في الدرس الصوتي العربي وقد اكتفينا في هذه الورقة البحثية بالتقابلات الثنائية التي يمكن أن نجدها في معظم لغات العالم إن لميكن كلها والتي رأى ياكبسون أنها تنحصر في اثنا عشر تقابلا ثنائيا إذ تعتبر هذه الثنائيات كليات فونولوجية تعود أصولها إلى الدرس الصوتي العربي القديم والتمكن من هذه الدراسة قمنا بتعريف الكليات عموما ثم الكليات الصوتية لنقف على النقابات الثنائية الكلية التي ذكرها رومان ياكبسون في نظريته التواصلية وأيد هفي رأيه تشومسكي.

الكلمات المفتاحية:

الكليات؛ الكليات الصوتية؛ التقابلات الثنائية؛ الكليات الفونولوجية.

ABSTRACT :

Our aim in this study is to find out the phonological colleges in the Arabic phonemic lesson. In this research paper, we were satisfied with bilateral encounters, which we can find in most, if not all, languages of the world, and Yakpson believes that it is limited to twelve bi-laterals, as these dualities are phonological faculties whose origins date back to The old Arabic phonemic lesson and mastery of this study. We defined colleges in general, then phonemic colleges, to stand on the total bilateral unions mentioned by Roman Yakpson in his communicative theory and supported him in his opinion Chomsky.

Keywords: Faculties; Vocal colleges; Differential features;Bilateral unions

1. مقدمة:

علم اللّغة هو العلم الّذي يُعنى بدراسة اللغة ويبحث فيها ويتّخذها موضوعا له، فيتناولها ويدرسها من النّواحي الوصفيّة والتّاريخية والمقارنة كما يهتم بالعلاقات الموجودة بين اللّغات المختلفة، ويُعتبر كلُّ نشاط لغوي موضوعا من مواضيع علم اللّغة ولا نقصد بهذه الأخيرة اللّغة العربية أو الفرنسية أو الإسبانية وإنّما اللّغة في ذاتها

* المؤلف المرسل

ومن أجل ذاتها وهي تتبدّى في أشكال لغات مختلفة وكثيرة ولهجات مختلفة وصور متباينة من صور الكلام الإنساني[1] وعلم اللّغة هو الدّراسة العلميّة الموضوعيّة للّغة، وقد عرفه مارتينيه :« هو الدّراسة العلميّة للّغة الإنسانية »، فاللّسانيات علم وصفي لا علاقة له بالأحكام الجمالية والميولات الذّاتية كما لا تنحصر اهتمامات اللّسانيات على لغة معيّنة دون سواها من اللّغات أو بمستوى دون غيره من المستويات الأخرى إنّما تهتم بكلّ اللّغات قديمها وحديثها، ويتّخذ علم اللّغة من اللّغات منطلقا ومرجعا له وقد أكد هذا سوسير في قوله :« موضوع علم اللّغة الوحيد والصّحيح هو اللّغةُ عبارة في ذاتها ومن أجل ذاتها »[2] وقد أطلق على هذا العلم مسمّيات عدّة منها : علم اللّغة و اللّسانيات و الألسنية وقد توصّل أحمد مختار عمر من خلال تحليلاته لعناوين الكتب والأبحاث اللّسانية إلى أنّ مصطلح علم اللّغة ورد بخمس وعشرين عنوانا، والألسنية بعشرة عناوين واللّسانيات بخمس عناوين .

وللّسانيات مستويات منها المستوى الصّوتي والصّرفي و النّحوي والدّلالي وما يهمّنا بالدّراسة في هذه الورقة البحثية هو المستوى الأوّل أي المستوى الصّوتي أو ما يُعرف بالصّوتيات، ولهذا العلم جذور ضاربة في تاريخ اللّغة العربيّة حتّى وإن لم يُعرف بهذا الاسم في التّراث اللّغوي العربي [3] إلّا أنّ المتصفّح لكتب العربيّة سيُلاحظ أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي قد اكتشف الصوّتيّات قبل الغربيّين و كذلك ابن جنّي الّذي عرّف اللّغة على أنّها أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم وهذا دليل آخر على أنّ الصّوتيات أُكتُشفت عند العرب قبل الدّراسات الحديثة ،وعليه سنحاول الوقوف على بعض الظّواهر الصّوتية الّتي تُعتبر ظواهر صوتيّة كُلّية ؛ أي الظّواهر الّتي تشترك فيها العربية مع غيرها من اللّغات وبناء على هذا ما المقصود بالصوتيات ؟ وما معنى الكُلّيات اللّغوية عموما والصوّتية خصوصا ؟ وما أبرز هذه الظّواهر الصّوتيّة الكُلّية ؟ .

2-تعريف علم الأصوات :

2-1-لغة :

الصّوت الجرس ومنه صات و يَصوت ويَصلت صوتا وأصات وصوّت به كله نادى و يُقال صوّت يُصوّت تصويتا فهو مصوّت وذلك إذا صوّت بإنسان فدخاه ،والصّائت الصّائح، وإنصات الزّمان به انصياتا إذا اشتهر، وكل صوت من الغناء صوت والجمع الأصوات [4] وجاء في مقاييس اللغة أن الصاد والوا والتّاء أصل صحيح وهو الصّوت وهو جنس لكل ما وقر في أذن السّامع يُقال هذا صوت زيد، ورجل صيّت إذا كان شديد الصّوت وصات صاح. [5]

2-2-اصطلاحا :

الصّوت الجرس وهو أي أثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة مطردة كالنقر على الخشب أو الطبلة وكالاصطدام وضجيج حركة المرور وما يُسمع نتيجة سقوط جسم على أخر وحك جسم بجسم والحس ما نطقه جهاز صوتي حي خاصة الجهاز النطقي لدى الإنسان وأما الصوت بالمعنى العام أي اللغوي منه وغير اللغوي فهو الأثر السمعي

الذي به ذبذبة مستمرة مطردة حتى وان لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا كأصوات الآلات الموسيقية والأوتار [6]وتنقسم الصّوتيات إلى قسمين أساسيين أوّلهما:

3-تعريف الفوناتيك:

الصّوتيات المجرّدة أو الفوناتيك وهي الّتي تُعنى بدراسة التّكوين التّشريحي للجهاز النّطقي من الرّئتين وصولا إلى الشّفتين ثم تدرس وظيفتها المباشرة في إنتاج الصّوت سواء بدفع الهواء أو بحبسه أو السّماح له بالمرور مُحتكا في مواضع الصّوت ،كذلك تدرس وظيفتها غير المباشرة من حيث كانت بعض التّجاويف في الرّأس وفي الصّدر وهي ما يُعرف بالغرف الرّنينية أشبه بقصعة العود أو الكمان تعمل على تجميع الصّدى وتشكيل الصّوت وأيُّ تغيّر أو عطب في غرف الرّنين الإنسانية كالزّكام أو الرّشح يُؤثّر مباشرة على طابع الصّوت[7] كما يهتم هذا الجانب بدراسة مكوّنات الصّوت وعناصره الأساسية من حيث عدد الذّبذبات وطبيعتها وتكوّنها في هيئة موجات هوائية وهو ما يُعرف بعلم الطّبيعة الصّوتي ويستخدم عدّة أجهزة قياس وتسجيل إلكتروني كما يتناول هدا الجانب أيضا صفات الأصوات من جهر وهمس وانفجار واحتكاك وانطلاق ودلك حسب استعمال الإنسان للّغة.[8]

4-تعريف الفونولوجيا:

أمّا القسم الثّاني فهو الصّوتيات التّشكيلية أو الفونولوجيا وهي تدرس الصّوت في سياقه وتدرس النظم الصّوتية للغة معيّنة كما يستعملها أصحابها في ممارساتهم اليومية فالصّوت في سياقه يتباين عن الصّوت المجرّد من حيث الكميّة المستعملة لإنتاجه كذلك من حيث تأثّره بالأصوات الّتي تسبقه والّتي تليه ولهذا التأثر قوانين عامّة في جميع اللّغات فصوت النّون مثلا يُنطق في العربية على صور سبعة بحسب الصّوت الّذي يليه وهذه الصّور كُلُّها أعضاء لوحدة صوتية واحدة [9] وهي ما يُعرف بالفونيم.

ويُمكن مقابلة الفونولوجيا بالصّوتيات الوظيفية لأنّها تبحث في وظائف الأصوات في اللّغة وقد جاء التّفريق بين الفوناتيك والفونولوجيا نتيجة لتقدّم البحث في الأصوات عندما أدركوا أنّ الصّوت الواحد يختلف نُطقه بتنوّع السّياق الذي يقع فيه وقد وصلوا إلى أنّ هذا التّنوع ليس مقصورا على أصوات دون أخرى أو على بعض النّاطقين دون غيرهم إنّما وجدوه قاعدة عامّة في كلّ الأصوات وخاصّية مشتركة بين ناطقي اللّغة الواحدة .[10]

وقبل التّطرّق إلى الكُلّيات الفونولوجية علينا أوّلا تعريف الكلّيات عند اللّغويين والمناطقة:

5-تعريف الكليات:

5-1-الكليات لغة :فالكّلّيات في اللّغة جمع مفردها كُلّية وقد أُستُعمل مفهوم الكُلّية عند علماء اللّغة خاصّة النّحويين منهم كما نجد هذا المصطلح متداولا عند المناطقة وعلماء أصول الفقه فالكّلّيات مصدر صناعي من كلّ أي شُمول مجموع من الأوّل إلى الآخر ومنه قولنا : أخذ الموضوع بكُلّيته أي اجمعه وطرق الموضوع بكلّياته وجزئياته أي بجوانبه الخاصّة والعامّة وكلّ لفظة واحدة ومعناها الجمع لذا يجوز قولنا : كلٌّ حضر وكلٌّ حضروا، والكُلّية مأخوذة من كل وقد جاء في مقاييس اللّغة قول أحمد بن فارس : « فأمّا كل فهو اسم موضوع للإحاطة مُضاف

إلى ما بعده » [11]، والكُلّية مؤسّسة علمية يُتابع فيها الطّالب دراسته في تخصّص معيّن بعد حصوله على البكالوريا، والكلّة الحكم على كلّ فرد نحو : كلُّ القوم مسلمون .[12]

5-2-الكليات اصطلاحا: أمّا الكلّيات اصطلاحا فقد جاء أنّ الكلّ اسم لجملة مركّبة من أجزاء وهو أيضا اسم للحقّ تعالى باعتبار الحضرة الأُحدّية الإلهية الجامعة للأسماء لذا يُقال احد بالذّات كلٌّ بالصّفات وتوحي لفظة كل إلى عام تقتضي عموم الأسماء في حين تفيد كلّما عموم الأفعال،[13] أمّا الكلّيات فهي القواعد الّتي تشترك فيها الألسن البشرية إن لم يكن كلّها فأغلبها فقد قال في تعريفها الفارابي : « هي عبارة عن الحكم على كلّ فرد من أفراد تلك المادة حيث لا يبقى منها فرد وإلّا فهي جزئية لا كلّية » [14] والكُلّيات هي كلُّ قاعدة مُصدّرة بكلمة كلّ أو فيما معناها من الصّيغ الدّالة على العموم والشّمول الدّاخلة تحت جزئياته ويتقاطع مفهوم الكلّية مع مفهوم القاعدة وقد ورد في هذا الشّأن قول الشّريف الجرجاني :« القاعدة هي كلّ قضية كلّية منطبقة على جميع جزئياتها » [15] ولم يأت تعريف الكلّيات عند القدامى باللّفظ الصّريح إنّما استعملوا ما يدلّ عليها من ألفاظ العموم كتصديرهم لهذه الأخيرة بلفظة كلّ أو ما يوازيها في المعنى،فقد جاء في معجم العين للخليل ذكره لأصول وقواعد ذات الطّابع الكلّي في مواطن كثيرة من خلال استقرائه لكلام العرب فأصبحت بذلك كلّ قاعدة مُصدّرة بلفظة كلّ أو نحوها ممّا يفيد العموم ويتدرج تحت جزئياتها سواء كانت صوتية أو صرفية أو نحوية قاعدة كلّية .

ويذهب المتوكّل إلى أن الكلّيات هي القواسم المشتركة بين اللّغات الطّبيعية على اختلاف أنماطها مادّية كانت هذه القواسم أم صورية من حيث مفهومها أمّا من حيث ما صدقها فيرى أنّها تشمل البنية التّواصلية للنّموذج والتّنظيم القالبي العام لنموذج مُستعملي اللّغة الطّبيعية فقد ربط كلّية هذين العنصرين بمدى معقولية افتراض إمكانية إدخالها ضمن الثّوابت الّتي يقوم عليها التّواصل إنتاجا وتلقّيا،[16] وعلى هذا الأساس أشار المتوكل إلى الكلّيات التّواصلية الّتي تتشارك فيها جميع الأنساق التّواصلية وقد قسّمها إلى قسمين كلّيات تواصلية مطلقة وكليات تواصلية نسقية.

5-3- الكلّيات المطلقة: هي القواسم المشتركة بين جميع الأنساق التّواصلية بكلّ فروعها اللّغوية منها والإيمائية والصورية والموسيقيّة ...الخ.

5-4-الكلّيات النّسقية: فهي متباينة بين ما يتقاسمه أفراد كل نسق على حده .[17] كما تُعرّف القواعد الكلّية بأنّها مجموع القواعد المنظمة والقوانين والضّوابط المشتركة بين اللّغات والّتي تقوم عليها كلّ لغة إنسانية بصفة عامّة.

5-5-الكُلّيات في علم المنطق: الكلّي عند المناطقة هو الّذي لا يمنع نفس تصوّره من وُقوع الشّركة فيه وهو يصح حمله على كلّ فرد من أفراده،[18] ومنه الكلّيات الخمس وهي مبادئ التّصوّرات وهي من أهم مباحث علم المنطق تتجلّى أهميّتها في الكشف عن المجاهيل لكونها عناصر أو مواد القول الشّارح أو التّعريف وتُسمّى أيضا المقولات الخمس أو يساغوجي وسُمّيت بالمقولات لأنّها تُقال بمعنى تُحمل فمثلا الإنسان يُقال على الحيوان النّاطق

أي يُسند، وهناك من سمّاها أيضا المحمولات الخمس لأنّها أمور محمولة على غيرها وسُمّيت في الشّمسية بالتّعريفات، وتُطلق الكلّية على المفهوم حقيقيا كان أم إضافيا،[19]هذه بعض التّوضيحات والتّعريفات عن الكلّيات عموما والّتي سنتدرّج منها إلى الكلّيات اللّسانية أو الصّوتية.

الكُلّيات اللّغوية هي الملامح المشتركة في كلّ اللّغات وهي على نوعين كلّيات مادّية وكلّيات شكلية ؛إذ تختص الأولى بالمضمون في حين تعنى الكليات الشكلية بشكل التّحديدات اللّغوية، والكلّيات المادّية للمكوّنات الفونولوجية هي السّمات الفارقة عند رومان ياكبسون، والّتي تُعدّ بوصفها قالبا للسّمات الصّوتية مستقلّة عن اللّغات الفردية ؛ إذن فالكلّيات المادية تخص وصف مفردات اللّغة بخلاف الكلّيات الشّكلية الّتي تخصّ القواعد الّتي تظهر في النّحو وسبل الرّبط بينها، فالكلّيات الشكلية هي فروض أنّ المكوّن النحوي يجب أن يتضمن قواعد تحويلية من أجل تحويل الأبنية العميقة المشتركة دلاليا إلى أبنية سطحية مُفسّرة صوتيا أمّا المكوّن الفونولوجي فيعمل بسمات فارقة، [20] وقد طوّر ياكبسون نظاما للسّمات الفارقة يصلح أن يكون عالميا ويلزم إمكان تطبيقه على كلّ الأنظمة الفونولوجية الموجودة والمحتملة بوجه عام وهذا النّظام يقوم على خواص ثابتة فقط،[21] فكل فونيم يختص بسمات يملكها أو لا يملكها فيختص فونيم (...) بأنّه غير حركي، غير أنفي، مستمر، غير مجهور ....الخ، وفونيم (...) بأنّه غير حركة مستمر مجهور ...الخ، ولا يعتبر ياكبسون رمزا (...) و (...) غير اختصار لمركّبات السّمات المذكورة فالأصوات ليست وحدات لا يمكن تجزئتها على حد رأيه بل هي مجرّد مركّبات من السّمات وهي حزمة من السّمات الثنائية التّي تُقرر أو تُرفض ولهذا لم يعد الفونيم أصغر وحدة بل سمة الفونيم.[22]

وقد كان موقف ياكبسون حاسما تُجاه ثنائية السّمات التّمايزية، فعند اعتماد أندريه مارتيني وجود السّمات الثّنائية والسّمات الثّلاثية والسّمات الرّباعية ألحَّ ياكبسون على أنّ كلّ سمة تمايزية هي ثنائية، فهو لم يعتمد على الوصف الذي فيالفونيم في مجال الفونولوجيا؛ بل اعتمد على الوصف السّمعي القائم على خصائص الموجات الصّوتية وهذا ما أوصله إلى معرفة الخصائص التّمايزية الثّنائية،[23] وقد قام بمقابلات فونولوجية عدّة ترتهن إلى التّمييز السّياقي ففونيمp وفونيمb يتقابلان في الفرنسية لأنّهما يُستعملان في التّفريق بين pierre و bierre وتقابلهما لا يقوم إلّا إلى سمة واحدة وهو إذن ليس تقابلا كلّيا إنّما ينحصر في العلاقة بين المجهور b وغير المجهور p وعليه لا يمكننا تمييز الفونيم المجهور إلّا بوجود الفونيم غير المجهور؛ أي المهموس وهده الثّنائية هي الّتي تجعل السّمة التّمايزية أكثر وضوحا وبروزا فكلّ العلاقات بين لوحدات الصّوتية في لغات العالم المختلفة تخضع لنظام ثنائي؛ أي إمّا وجود سمة معيّنة أو عدم وجودها.[24]

6-السمات التمايزية الكلية عند رومان ياكبسون:

وقد تابع ياكبسون دراساته حول السّمات التّمايزية فرأى أنّ كلّ التقابلات التّي يمكن أن نجدها في كلّ اللّغات إنّما ترجع إلى اثني عشر تقابلا ثنائيا يمكن تحديدها في مستويات شتّى تتعلّق بمراحل متتالية من سيرورة التّواصل خاصّة المستوى النّطقي والمستوى السّمعي وهذه التّقابلات هي:[25]

1 . صوامتي / غير صوامتي

2 . صائتي/ غيرصائتي

3 . مكثّف / متفلّش

4 . مجهور / مهموس

5 . أنفي / غير أنفي

6 . متواصل / متقطّع

7 . صارف / عديم الرّنين

8 . مُخفّض / غير مخفض

9 . متوتِّر / رِخو

10 . مُطبق / غير مُطبق

11 . مرفوع النّغم / غير مرفوع النّغم

12 . خفيض / حاد

فهذه السّمات لا أهمّية لوجودها دون وجود الوجه الآخر لها فوصفنا لصوت بأنّه مجهور فذلك لوجود المهموس أو غير المجهور في نفس اللّغة.[26]

ويبدو أنّ هذه الثّنائيات المحدودة في عدد صغير من التّقابلات تعكس ميل الاستعمال اللّغوي إلى الاقتصاد في الجهد كما تساعد الدّارس على تحليل البنيات اللّغوية ويضرب لنا ياكبسون مثالا عن المتكلّم العربي الّذي قرابة 325 تقابلا ممكنا للفونيمات في اللّغة العربية كما أحصاها كانتينو [cantineau] في حين أنّه يستعمل تسع تقابلات إذا ما أحصيناها على قاعدة التّقابل الثّنائي للسّمات،ويرياكبسون [jakobson] أنّ هذه الطّريقة تُسهّل عمليتي الإرسال والإدراك باللّجوء إلى ثنائية السّمات التّمايزية وما تُقدّمه من تبسيط.[27]

وقد عرفت الدّراسات الفونولوجية توسّعا ملحوظا على يد ياكبسون [jakobson] ومن سار على نهجه لم تشهده من قبل على مستوى التّحليل التّزامني؛ إذ إن ياكبسون لم يكتف بأن كرّس التّركيبة الثّنائية في تحليله لسمات الصّوت اللّغوي بل جعل من الفكر الثّنائي مبدأ يُطبّق على مختلف مستويات التّراكيب اللّغوية وليس على التّقابلات الفونولوجية فقط لذلك فعند تحليله الثّنائيات التّمايزية يُقِّرّ بأنّ وجود هذه التّقابلات أسهل على الدّراسة في الصّوت منه في مستويات اللّغة الأخرى فقد صرّح بأنّه وصف السّمات التمايزية من الجانبين

النّطقي والسّمعي لأنّ أكثر ما يمكن الّتي يمتلكها في هذا المجال مرهونة بالجانب النّطقي والسّمعي وأنّ كلّا منهما يقدّم لوحة كاملة لكلّ التّمايزات الإنسانية، غير أنّ النّطق بمثابة الوسيلة بالنّسبة للنّظام السّمعي الّذي هو غاية لذلك فإنّ التّصنيف الآلي يجب أن يتم بالرّجوع إلى الأشكال السّمعية.(28)

وقد شارك تشومسكي { tchomeskky } ياكبسون { jakobsom } في موقفه الرّامي إلى وجود وحدات فونولوجية ونحوية ودلالية كلّية وشاملة قد تشترك فيها جميع اللّغات لكنّها ليست مُتحقّقة بالضّرورة في اللّغات جميعها ويمكن لهذا الوجود أن يتحقّق بصورة مختلفة وأقلّ إطرادا ممّا قد يُحيه مصطلح الكُلِّية { universal } أو الشمول، ومع ذلك فإنّ هذه الوحدات يمكن تحديدها بصور مستقلّة عند وجودها في لغة معيّنة وحتّى أنّه يمكن التّعرف عليها عند وجودها في عدد من اللّغات على أن يتم تحديد هذه الوحدات وتعريفها في إطار نظرية لغويّة عامّة . (29)

وكما هو معروف أنّ هناك نظاما فونولوجيا ثابتا يحتوي على ما يقرب عشرين وحدة فونولوجية ذات خصائص وسمات مميّزة ومثال ذلك خاصّية الجهر { ذات خصائص وسمات مميّزة ومثال ذلك خاصّية الجهر { voicing } الّتي تميّز { b } عن { p } أو تميّز { t } عن { d} في نطق الكلمات الإنجليزية ten وben أو bin و pin كذلك الأمر بالنّسبة إلى الغنّة { nasality } الّتي تُميّز b عن m و d عن n في مثل mad و bad أو pad و pan وهذه الملامح المميّزة قد نجدها متحققة في كل فونيمات لغات الأخرى وقد يمنع أن تختار أو تشكّل كل لغة ما يناسبها من بين هذه السّمات الفونولوجية،(30) ويُطلق تشومسكي على هذه العناصر الفونولوجية والنحوية والدّلالية الأصول الكُلِّيّة الثّابتة للنّظرية اللّغوية .

ولإطلاق صفة الكلية على هذه السّمات الفونولوجية الّتي ذكرها ياكبسون وأيّده فيها تشومسكي علينا التّحقق من وجودها في معظم اللّغات خاصّة اللغة العربية وذلك بتعريفها وضرب الأمثلة التي توضّح ذلك ولتعدد اللّغات وكثرتها سنكتفي بضرب الأمثلة من لغتين أو ثلاث فقط .

6-1-صوامتي / غير صوامتي { consonantalnonconsonantal/ }:

والمقصود هنا بالصوامتي هي الصّوامت والمعروفة بالإنجليزية والفرنسية : cononants و consonnes والأصوات الصّامتة هي الّتي ينحبس الهواء أثناء النّطق بها انحباسا محكما وذلك بأن يوجد عائق ما في جهاز النّطق يمنع هواء الزّفير من المرور مدّة من الزّمن ثم يتخطّى الهواء المنحبس بعدها هذا الحاجز محدثا صوتا انفجاريا أو يضيق مجرى الهواء فيحدث هواء الزّفير نوعا من الصّفير، والأصوات الصّامتة مستقل بعضها عن بعضها الآخر بل قد يكون كلّ منها وحدة قائمة بذاته والصّوامت في العربية ثمانية وعشرون صوتا هي:(31) أ / ب / ت / ث / ج / ح / خ / د / ذ / ر / ز / ش / س / ص / ض / ط / ظ / ع / غ / ف / ق / ك / ل / م / ن / هـ / والوا غير المدّية في مثل ولد والياء غير المدّية في مثل يترك أمّا الأصوات غير الصّائة في الصّوائت، ولا يمكن تخيّل لغة من دون صوامت فكلّ لغات العالم فيها صوامت وإن وجد الاختلاف ففي العد لا أكثر وهذا لا يهمّنا لأنّ

كل ناطق على وجه البسيطة يتواصل عن طريق إصدار أصوات معيّنة وهذه الأصوات مكوّنها الأساسي هو الصّوامت لهذا تُعتبر هذه الثّنائية الكلّية من الكلّيات الفونولوجية .

6-2-صائتي / غير صائتي {non vocalie / vocalie} :

تُعرّف الصّوائت في علم الأصوات النّطقي على أنّها أصوات تنتج عن مرور الهواء في الآلة المصوّتة مرورا حرا؛ أي أنّه لا يصادف أيّ عائق يمكنه إحداث ضجّة أو انفجار والصّوائت بطبيعتها مجهورة ولا تختلف عن بعضها البعض إلّا في عملية الرّنين ويتم التّمييز بين الصّوائت عن طريق موضع النّطق ودرجة الانفراج والمدّة وشدة توتر الأعضاء النّاطقة.(32)

والصّوائت في معظم لغات العالم أربعة هي:(33) الصّوائت المغلقة مثل : i.u . y والصّوائت نصف المغلقة وهي: e . o والصّوائت نصف المفتوحة وهي : ae والصّوائت المفتوحة a ويختلف هذا التّقسيم من لغة إلى أخرى وحتّى من شخص إلى آخر داخل اللغة الواحدة تبعا لاختلاف فيزيولوجية الآلة المصوتة عند المتكلّم كذلك حسب لهجة البيئة الاجتماعية الّتي نشأ فيها.

وهناك ما يُعرف بالمثلّث الأساس للصّوائت { i } الكسرة، و { u } الضّمة و { a } الفتحة وسُمّي كذلك لأنّه أساس توزيع الصّوائت في مختلف لغات العالم حتّى أنّ هناك من اللّغات من لا تملك إلّا هذه الصّوائت الثّلاثة كاللّغة العربية ولغة الإسكيمو، غير أنّ اللّغة العربية تعتمد على المدّة في التمييز بين نوعين من الصّوائت وهي الصّوائت القصيرة المعروفة عندنا بالحركات والصّوائت الطّويلة والمتمثّلة في حروف المد، ويمثل مثلث الصّوائت نظاما صائتي الاشتراك كافة لغات العام فيه وذلك لتحققه بشكل أو آخر في كلّ لغة وهو ما يدعّم فكرة أن ثنائية صائتي / غير صائتي الذي هو الصّامت كلّية فونولوجية تتشارك فيها كلّ لغات العالم. (34)

6-3-أنفي / غير أنفي :

وتختصّ هذه الثنائية بالصّوامت دون الصّوائت، ويدرج بعض اللّغويين الصّوامت الأنفية ضمن الصّوامت الانسدادية وذلك لصدورها عن طريقتين في النّطق فالهواء المزفور يصادف تغيّرات مختلفة إمّا في التّجويف الفمي حين يتم تحديد الرّنة الخاصّة بكل صامت فيكون هذا الأخير صامتا انسداديا لانسداد الممر الصّوتي أثناء إنتاجه كما في الانسداديات، وأمّا في التّجويف الأنفي الّذي يكون طريق هـ مفتوحا لانخفاض الحنك اللّين فيسمح للهواء المزفور أن يستمر بالخروج من الرّئتين إلى الخارج فيكون هذا الصّامت مستمرّا(35) ولا يكون عمل التجويف الأنفي إلّا كغرفة رنين كما لا يأخذ طابع الاستمرار سوى الزّمن الأنفي وهذا الرّنين هو نفسه بالنّسبة لجميع الصّوامت الأنفية الّتي لا تختلف إحداها عن الأخرى إلّا بطريقة النّطق الفمية وهذه الأخيرة لا تتم إلّا بقطع أو إغلاق الممر الصّوتي على مستو الفم ويمكن للرّنين الأنفي أن يسبق الانسداد النفي أو يتبعه فقولنا في العربية مثلا { ما} فإنّ الرنين النفي يسبق إنتاج الصّوت الأوّل من الكلمة بشيء قليل وهو ذاته يستمر قليلا بعد نطق الصّوت في اللّام، وتكون الأصوات الأنفية مجهورة غالبا، ويكون عدد الصّوامت الأنفية في اللّغة الواحدة على

أكثر تقدير أربعة وهو ما نجده في لغة الإسكيمو ويبلغ عددها ثلاثة في الفرنسية والانجليزية والاسبانية والايطالية والألمانية على خلاف العربية الّتي نجد فيها صامتين أنفيين فقط هما الميم والنّون،[36] وأمّا الصّوامت أو الأصوات غير الأنفية فهي ما عدا هذين الصّامتين، زكما أسلفنا الذّكر فإن العدد لا يهمنا إنّما مرادنا إثبات أنّ هذه الثّنائيات في معظم اللّغات وبما أنّ هذه السّمة مربوطة بالحواس { الأنف، الفم، الوترين الصّوتين ....} فهي كلّية من الكلّيات الفونولوجية وقد سبقت إشارة علمائنا العرب إليها.

6-4-مجهور / مهموس :

الصّوت المجهور هو الّذي ينحبس مجرى النّفس عند النّطق به لقوّته وقوّة الاعتماد على مخرجه فيكون بذلك مجرى الهواء مطلقا فيحدث هواء الزّفير تذبذبا في الوترين الصّوتيين ليصدر الصّوت المجهور بخلاف المهموس الّذي هو انطلاق هواء النّفس عند النطق به لضعفه وضعف الاعتماد على مخرجه فينطلق الهواء حرا دون أن يعترضه أي عائق فلا يتذبذب بذلك الوتران الصّوتيان ولا يصدران أيّ جهر [37] وهناك من الصّوامت ما هو مجهور وما هو مهموس وهذه السّمة توجد في أغلب لغات العالم كالانجليزية والألمانية والايطالية والفرنسية والاسبانية ..... وغيرها من لغات العالم هذا ما أشار إليه ياكبسون وأيده فيه تشومسكي والصّوامت المهموسة عند القدامى مجموعة في قولنا : { سكت فحثّه شخص } وما عداها فهي مجهورة وهي تسعة عشر كما أشار إليها ابن جني في مؤلفه سر صناعة الإعراب فلم يختلف المحدثون مع القدماء في تصنيفهم للأصوات المهموسة والمجهورة إلّا في الطّاء والقاف في وصفهما بالجهر وهو مالا يتوافق مع نطقنا الحالي لهذين الصّوتين وسبب هذا الاختلاف أنّ الطاء المجهولرة عند القدماء هي التي قال عنها سيبويه { لولا الاطباق لصارت الطّاء دالا }، لان الطّاء هي النظير المفخّم للدّال فلمّا كانت الدّال مجهورة كانت الطّاء كذلك، بخلاف المحدثين الّذين يرون أنّ الطّاء النّظير المفخّم للتاء وبما أن التاء مهموسة كانت الطّاء كذلك بخلاف الصّوائت في العربية الّتي تكون دوما مجهورة وثنائية الجهر والهمس تعد أساسية في التّمييز بين مجموعة الصّوامت الّتي تشترك في نفس المخرج كالحلق والحنك وغيرهما، وقد سعى علماؤنا العرب إلى وضع ضوابط أخرى تساهم مع المخرج في التّمييز بين الأصوات فوضعوا بذلك ما يسمّى بصفات الأصوات كالجهر والهمس والشّدة والرّخاوة والتّوسط، وقد أشار علماؤنا العرب إلى هذه الثّنائية على أنّها من الصّفات الأساسية في التّمييز بين الصّوامت الّتي تشترك في نفس المخرج على رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدي {175 هـ } وسيبويه { 180 هـ }، ومعنى الجهر في اللّسان رجل جهير أي عالي الصّوت وجهر بالقول إذا جهر به صوته،[38] هذه الصّفة نجدها عند أي ناطق سواء كان عربيا أو انجليزيا أو ايطاليا أو فرنسيا ... فسمة الجهر والهمس لا تختصّ بلغة دون الأخرى أو بلسان دون غيره إنّما تشترك فيها جميع الألسن البشرية لأنّها كانت مدار اهتمام الدّارسين العرب والغرب فلا ننكر أي دراسة صوتية في أي لغة من لغات العالم تتجاوز هذه السّمة بالدّراسة لهذا فثنائية الجهر / الهمس كلّية فونولوجية .

6-5-متوتر / رخو:

كذلك الأمر بالنّسبة إلى ثنائية متوتر / رخو حيث تنتج الأصوات المتوتّرة بوضوح ويبذل في إنتاجها جهد عضلي بصورة كبيرة بخلاف الأصوات غير المتوتّرة { الرّخوة } تنتج سريعا وأقلّ وضوحا من الأصوات المتوترة، والمقصود بالتّوتر الشّدة وهي تمتم انحصار الصّوت عند إسكانه إذ يُحدث الصّوت عند إنتاجه صوتا انفجاريا والأصوات المتوتّرة أو الشّديدة في العربية ثمانية مجموعة في عبارة : أجدك قطبت أمّا الرّخاوة فهي تمتم جري الصّوت عند إسكانه حيث لا يكون مجرى الهواء مسدودا وهناك أصوات متوسّطة بين التّوتر والرّخاوة وهي في في منزلة بينهما مجموعة أصواتها في عبارة { لم يروعنا }، وما عدا هذه الأصوات والأصوات المتوترة فهي رخوة [39]، وبما أنّ هذه الثّنائية متعلّقة بجهاز النّطق وبالتحديد بمجرى النّفس من حيث انحصاره وانسداده فإنّه لا يمكننا قصرها على ناطق في لغة ما دون غيرها من اللّغات لأنّها لا تتعلّق بضوابط تلك اللغة وقوانينها إنّما مرتبطة بالنّاطق في حدّ ذاته سواء كان عربيا أو إنجليزيا أو ألمانيا .....الخ، لهذا تُتصف ثنائية متوتّر / رخو بالشّمولية والكلّية .

خاتمة :

من خلال ما سبق التطرق إليه في هذه الورقة البحثية نخلص إلى أنّ :

1- الثّنائيات التّمايزية الّتي ذكرها رومان ياكبسون من أبرز الظّواهر الصّوتية الكُلّية في الصّوتيات العربية

2- قد درس علماؤنا العرب هذه الكُلّيات الفونولوجية قبل أن يدرسها الغرب وانّ الاختلاف بينهما إن وُجد لا يتعدّى تباين المصطلحات أو العدد وهذا أمر ثانوي

3- تكون الظّاهرة الصّوتية كلّية عند تحققها في أغلب الألسن و إن لم يكن تحققها فعليا إنّما افتراضيا .

4- لا يُمكن أن نسمّي الظاهرة ثنائيةتمايزية إلّا بوجود نقيضها كثنائية الجهر والهمس مثلا فلولا وجود الهمس ما كان الجهر والعكس .

الهوامش :

[1]- ينظر رمضان عبد التّواب المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللّغوي مكتبة الخانجي القاهرة ط3 1417هـ / 1997م ص 07 .

[2]- ينظر نادية مرابط علوم اللّغة العربية منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2011 ص 412 / 413 .

[3]-ينظر المصدر نفسه ص 469

[4]-ابن منظور لسان العرب ص 2521

5 . احمد بن فارس مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج3 ص 318 / 319

6 . ينظر تمام حسان منهج البحث في اللغة مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1990 ص 59

7. ينظر عبد الصبور شاهين في علم اللغة العام مؤسسة الرّسالة ط 6 1413هـ / 1993م ص 105 .

[8]-ينظر المصدر نفسه ص 106 .

[9]-ينظر المصدر نفسه ص 107 .

[10]- ينظر كمال بشر علم الأصوات دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة 2000 ص 68/67 .

[11]- أحمد بن فارس مقاييس اللغة كتاب الكاف تح عبد السلام هارون دار الفكر للطباعة والنشر ج 5 ص 122 .

[12]- ينظر: أبو البقاء الكفوي الكلّيات تح محمد درويش مؤسسة الرّسالة بيروت ص 472 .

[13] . ينظر الشريف الجرجاني التعريفات دار الفكر للطباعة والنشر ط1 2005 م ص 130.

[14] . الفارابي العقد المنظوم في الخصوص والعموم أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه تح أحمد الختم عبد الله جامعة أم القرى ج 1 ص 472

[15] . الشريف الجرجاني التعريفات ص 219 .

[16] . ينظر احمد المتوكل الوظيفة بين الكلّية والنمطية دار الأمان للنشر والتّوزيع الرّباط ط1 1424هـ / 2003م ص 48 .

[17] . ينظر المصدر نفسه ص 48

[18] . ينظر أثير الدين الأبهري شرح إيساغوجي في علم المنطق تح الزّاهدي دار ابن حزم ط1 1433هـ / 2012م ص 88 .

[19] . ينظر التّهانوي كشاف اصطلاحات الفنون ص 1381 .

[20] . ينظر جرار هبلش تاريخ علم اللّغة الحديث ت سعيد حسن بحيري مكتبة زهراء الشّرق القاهرة ط1 2003 ص 625 .

[21] . ينظر المصدر نفسه ص 105 .

[22] . ينظر المصدر نفسه ص 105

[23]- ينظر فاطمة طبال بركة النظرية الألسنية عند رومان ياكبسون المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط1 1413هـ / 1993م ص 41

[24] . ينظر المصدر نفسه ص 42 .

[25] . ينظر المصدر نفسه ص 42

[26] . ينظر المصدر نفسه ص 42/ 43

[27] . ينظر المصدر نفسه 43 .

[28] . ينظر المدر نفسه ص 44 .

[29] . ينظر جون ليونز نظرية تشومسكي اللغوية تر حلمي خليل دار المعرفة الجامعية إسكندرية ط1 1985 ص 236/ 237 .

[30] . ينظر المصدر نفسه ص 237/ 238 .

[31] . ينظر عصام نورالدين علم الأصوات اللغوية . الفونيتيكا . صر 204/203

[32] . ينظر بسام بركة علم الأصوات العام مكتبة وملتقى علم الأصوات مركز الإنماء القومي ص 79 .

[33] . ينظر المصدر نفسه ص 81

[34] . ينظر المصدر نفسه ص 84 .

[35] . ينظر المصدر نفسه ص 89 .

[36] . ينظر المصدر نفسه ص 90/89 .

[37] . ينظر عصام نورالدين علم الأصوات اللغوية . الفونيتيكا . ص 197 .

[38] . ينظر بوعناني سعاد آمنة الدرس الصوتي عند علماء القرن 5هـ كلية الآداب واللغات والفنون جامعة وهران 2011/2010 ص185 .

[39] . ينظر نادية مرابط علوم اللغة العربية ص 485/ 486

قائمة المصادر والمراجع :

1. رمضان عبد التّواب المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي .
2. نادية مرابط علوم اللغة العربية .
3. عبد الصّبور شاهين في علم اللغة العام .
4. كمال بشر علم الأصوات .
5. أحمد بن فارس مقاييس اللغة .
6. أبو البقاء الكفوي الكلّيات

7. الشّريف الجرجاني التّعريفات
8. الفارابي العقد المنظوم في الخصوص والعموم .
9 .أحمد المتوكل الوظيفة بين الكلية والنمطية .
10. أثير الدين الأبهري شرح ايساغوجي في علم المنطق .
11. التهانوي كشاف اصطلاحات الفنون .
12. جرار هبلش تاريخ علم اللغة الحديث .
13. فاطمة طبال بركة النظرية الألسنية عند رومان ياكبسون .
14. جون ليونز نظرية تشومسكي اللغوية .
15. بسام بركة علم الأصوات العام
16. بوعناني سعاد آمنة الدرس الصوتي عند علماء القرن الخامس الهجري